

الضرائب

احتلت الضرائب في العصر الأموي مركز الصدارة في تمويل خزينة الدولة خاصة بعد أن اخضعت جميع النشاطات الاقتصادية لقبضتها الحديدية.

واتصفت سياسة فرض الضرائب بصفتين :

الصفة الأولى - الشدة في فرض الضرائب

إذ استخدم الولاة أسلوب الشدة والقسوة في عملية استحصال (جباية) الضرائب. دون مراعاة لظروف أبناء المجتمع بل كان المهم هو إرضاء رغبات الحكام. فمثلا يكتب زياد بن ابيه إلى معاوية بن أبي سفيان (دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وغيثها وسمينها وحملت إليك لبها وقشورها) وهذا ما يشير إلى أسلوب التعسف في جباية الضرائب.

اما الحجاج بن يوسف الثقفي فإنه انتهج سياسة اقتصادية أرهقت المجتمع العراقي مما أساء أحواله المعيشية وخاصة أصحاب الأراضي الزراعية من الموالي (المسلمون من غير العرب) وأهل الذمة (أهل الكتاب الذين يعيشون في الدولة الإسلامية) الذين كانوا يمتنون الزراعة. فبعد أن كان أهل الذمة يدفعون الجزية مقابل حمايتهم من قبل الدولة أصبحوا في عهده غير قادرين على دفعها خاصة في فترات الكوارث والأوبئة.. لكن السياسة الجائرة للحجاج لم تراع هذه الظروف بل كانت تجبرهم على دفعها الأمر الذي دفع كثير منهم إلى ترك أرضه الزراعية والعمل بأعمال أخرى.

والأشد من ذلك أن بعض من أهل الذمة أعلن إسلامه لكي يتخلص من هذه الضريبة ونقص الجزية (لأن الجزية تسقط عن الذمي إذا أعلن إسلامه) ولكن الحجاج ظل يأخذها منهم حتى بعد إسلامهم. حتى قيل أن جباية خراسان وحدها في عهد الحجاج وصلت إلى ثمانية الف الف درهم (اي ثمانية ملايين درهم) وهو مبلغ كبير جدا اذا ما قورن في زمانه. مما يدل على الأسلوب التعسفي الذي اتبعه في عملية الجباية

وتطالعنا المصادر بنص تاريخي ربما يلخص لنا سياسة القسوة والشدة في استحصال الضرائب في العصر الأموي ، كتب الحاكم سليمان بن عبد الملك (حكم للمدة ٩٦ - ٩٩ هج) إلى وإليه على مصر (احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم - قال الراوي - فذلك اول شدة دخلت على أهل مصر) مما يدل على أن السلطة الأموية لم تتوان عن استخدام كل الأساليب التعسفية في سبيل استحصال الأموال.

الصفة الثانية - استحداث ضرائب جديدة

1- ضريبة الضيافة.. كانت موجودة قبل الحكم الأموي حيث تفرض للجند الذين يعسكرون في مناطق معينة.. أما في العصر الأموي فقد أصبحت من الضرائب التي تجبى للولاة والموظفين ولغايات شخصية. واستمرت هذه الضريبة تجبى حتى إلغائها من قبل الحاكم عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ - ١٠١ هج.

2- ضريبة أعياد النوروز والمهرجان (من أعياد الفرس) وقد بالغ الحكام الأمويون في جبايتها وكانت تؤخذ من المسلمين وأهل الذمة وذكر انها بلغت في إحدى سنوات حكم معاوية بن أبي سفيان عشرة آلاف درهم. ولم يقتصر جبايتها على النقد فقط بل كان يؤخذ الدواب والذهب والفضة.. وبقيت تجبى حتى إسقطها عمر بن عبد العزيز بعد توليه الحكم.

٣- ضريبة إعمار المساجد أو توسيعها أو استحداثها.. وهي أيضا من الضرائب التي اثقلت كاهل المجتمع.. إذ يقومون باخذها بحجة إحضار وشراء مواد البناء..